1. الاتجاهات النظريات في دراسة القرابة:

ليست الاتجاهات النظرية في سياق العلم الاجتماعي ضرب من ضروب التعسف، ولكنها هي المرشد لتحديد معالم أية ظاهرة يتم دراستها ولذلك فإن أية دراسة في العلم الاجتماعي لابد لها من إطار نظري، هذا الإطار يتم تحديده من خلال الاتجاهات النظرية الموجودة، وبما يتوافق ويتماشى مع السياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، الذي تظهر فيه الظاهرة موضوع الدراسة، ولذلك يجئ الإطار النظري الذي يتم التوصل إليه، كركن وإنجازهام من إنجازات أية دراسة، وهذا ما نحاول الوصول إليه في هذا العنصر.

منذ أن استقرت الأنثروبولوجيا علما قائما بذاته برزت العديد من الاتجاهات تناول الأنثروبولوجيون انطلاقا منها مختلف الموضوعات الأنثروبولوجية و لقد كانت نظرية التطور في مجال البيولوجيا و التي أسس دعائمها " تشارلز داروين" ملهما حقيقيا للأنثروبولوجيين الأوائل الذين تناولوا الثقافة و المجتمع بنظرة تطورية ، لكن أسس التفسير تعددت باتساع الدراسات في الحقل الأنثروبولوجي و بروز اتجاهات و نظريات اجتماعية لها القدرة على التحليل و التفسير ، ولعل أهم اتجاهات و نظريات دراسة الأنثروبولوجيا ما يلي:

أ- الاتجاه التطوري:

كان هذا الاتجاه قد احتضن نشأة الأنثروبولوجيا حين ظهورها كعلم خلال القرن الـ 19 م فكان الأنثربولوجيون يحاولون فهم كيفية نشأة و تطور المجتمعات و ثقافتها فحسب التطوريين يمثل تاريخ الانسانية و تاريخ الثقافة بما يضم من عادات و تقاليد و تنظيمات .... خطا متصاعدا كما أن البشرية تمر بمراحل خلال تطورها التاريخي فتتدرج من الأشكال البسيطة إلى الأشكال المعقدة إلى الأكثر تعقيدا ، و هذه السيرورة ملازمة لكل المجتمعات و الثقافات نتيجة الوحدة النفسية المشتركة بين البشر.

يرى لويس مورغان(1818-1881) أن المجتمعات تمر بمراحل تطورية حيث كل مرحلة تشكل نمطا معينا طبقا لمراحل التطور التي تتمظهر في طبيعة العلاقات الاجتماعية و طبيعة النظم التي تميزها ، فكل المجتمعات عنده تخضع في تطورها لقانون واحد طالما أن تاريخ الجنس البشري و أصل الإنسانية واحد ، و عليه يصل مورغان إلى أن البشرية تطورت عبر ثلاث مراحل أساسية:

-1مرحلة التوحش (الهمجية) : و يقسمها إلى ثلاثة مراحل هي مرحلة التوحش الدنيا و مرحلة التوحش الوسطى و مرحلة التوحش العليا و يوضح مورغان أن هناك ارتقاء ثقافي خلال الانتقال عبر كل مرحلة في تقنيات العيش و النظم الاجتماعية.

-2مرحلة البربرية و تنقسم بدورها إلى ثلاث مراحل دنيا و وسطى و عليا

.

-3مرحلة المدنية (الحضارة) و هي التكي تتميز باختراع الكتابة و الحروف الهجائية و هي مازالت ممتدة إلى اليوم.

كما يعد إدوارد تايلور(1832-1917) واحدا من رواد هذا الاتجاه حيث اعتبر أن الثقافة عنصر مساعد لفهم التاريخ الإنساني طالما أنها ظاهرة تاريخية تميز الانسان دون غيره ويكتسبها بالتعلم من المحيط الذي يعيش فيه ، و بهذا المعنى تكون الثقافة هي حصيلة ما يكتسبه الفرد في المجتمع ، و من هذا المنطلق يرى تايلور أن " دراسة الثقافة هو دراسة تاريخ تطور الفرد في المجتمع باعتبارها العملية التاريخية العقلية لتطور عادات الانسان و تقاليده من حالتها غير المعقدة إلى حالتها المعقدة فالأكثر تعقيدا " ، كما يعتقد تايلور بتطور فكر الإنسان في مجال الاعتقاد ، ففي البدء بدأ الانسان بمحاولة التفكير في القرين الملازم لجسم الانسان و هو الروح ثم تدرج إلى وجود أرواح تسكن الطبيعة مثل الروح التكي تسكن جسد الانسان ، فقام بتأليه هذه الأرواح لكنه اهتدى أخيرا إلى فكرة الإله الواحد كمرحلة أخيرة تعبر عن منتهى تفكير الإنسان و يبدو أن مراحل التطور لم تكن حتمية ملزمة بالنسبة لتايلور كما كان الحال عند لويس مورغان في عده لمراحل التطور البشري ، و رغم تصنيف تايلور ضمن الاتجاه التطوري إلا ان آراءه لم تخل من القول بانتشار الثقافة فهي حسبه" مثل النباتات تتصف بالانتشار أكثر من كونها تتطور ، فالناس أخذوا من جيرانهم أكثر مما اخترعوا و اكتشفوا بأنفسهم. "

كما كانت إسهامات جيمس فرايزر(1854-1941) في مجال التطور بتطرقه إلى تطور المجتمعات من خلال ثلاث محطات هي : السحر و الدين و العلم ....إلخ.

ب- الاتجاه التاريخي :

ويتزعمه العالم الألماني فرانز بواز(1858-1942) والذي كان رائدا لهذا الاتجاه في أمريكا وبفضله تم الانتقال من النظرة الخطية التطورية للتاريخ كما كانت عليه نظريات التطوريين إلى دراسة ثقافات محددة كثقافة العشائر و القبائل مع التأكيد على ضرورة دراسة هذه الثقافات في إطار منطقتها الإقليمية الثقافية ، و الهدف من ذلك هو معرفة أصول و تواريخ الثقافات و تحديد خصائصها و لكن الهدف الأسمى يتجلى أخيرا في المقارنة بين هذه التواريخ و التي تميز هذه الثقافات من أجل الوصول إلى القوانين العامة التي تحكم نموها و تطورها.

ت- الاتجاه الانتشاري :

يرى أصحاب هذا الاتجاه ان الاتصال بين الجماعات و الشعوب أدى إلى انتشار بعض السمات الثقافية ، فعملية الانتشار الثقافي تنطلق من مركز ثقافي إلى باقي المناطق كما أن الانتشار يتم أيضا من خلال انتقال السمات الثقافية من جماعة سابقة إلى جماعة لاحقة ، و تعتبر فكرة " المنطقة الثقافية " التي طورها "وسلر " (تلميذ بواز) أداة هامة في دراسة الثقافة و جوهرها تقسيم و تصنيف ثقافات العالم إلى مجموعات ثقافية بناء على تشابه العناصر الثقافية التي تكونها ، و المنطقة الثقافية إقليم يضم مجتمعات إنسانية متشابهة الثقافة ، و من أجل تحديد و تمييز منطقة عن أخرى يتم تتبع مدى انتشار العناصر الثقافية المميزة لتلك الثقافة (طرق و أدوات الصيد ، طهي الطعام .....) مثلما فعل الأمريكي "سابير" الذي حاول تحديد مدى انتشار عناصر " رقصة الشمس " عند هنود السهول بأمريكا الشمالية ، و في أنجلترا برز من يقول بوجود مركز للثقافة تنطلق منه إلى باقي أنحاء العالم و خير مثال على هذا العلامة " إليوت سميت" الذي رأى بأن مصر القديمة هي مركز كل الثقافات الحالية حيث انتشرت العناصر الثقافية من مصر إلى باقي أنحاء العالم ، فقد كانت نظرة سميت هذه مؤسسة على تشابه الآثار المختلفة في العالم مع الآثار التي اكتشفها عالم الآثار " بتري" كنظم القرابة و فن التحنيط و عبادة الشمس ....إلخ.

ث- الاتجاه التناسقي التكاملي :

و مفاده ضرورة النظر إلى الثقافة ككل متكامل يجمع بين الأفكار و المشاعر من جهة و السلوك الظاهر من جهة ثانية ، و قد كان " سابير " من الممهدين لهذا الاتجاه من خلال نظرته للثقافة في صورة تفاعل الأفراد فيما بينهم و ما ينتج عن ذلك من معان و مشاعر مشتركة لذلك يعرف الثقافة بأنها كل متكامل من أنماط فكر و عواطف و أنماط عمل "، و تعد العالمة الأمريكية " روت بندكت" واحدة من أهم الممثلين لهذا الاتجاه و يتجلى ذلك في قولها بأن الثقافة مثل الفرد لديها نمط متناسق من الفكر و العمل ، كما أنه لفهم الثقافة لابد من الأخذ في الاعتبار الاتجاهات العقلية و الشعورية السائدة فيها و القيم و الأهداف المشتركة بين أفراد المجتمع الذي تتم فيه دراسة الثقافة ، ففي دراستها لبعض القبائل الهندية في جنوب غرب أمريكا الشمالية وجدت بندكت اختلافا بين القبائل فمنها التي تركز على المظهر الخارجي للسلوك و تهتم بالطقوس و احترام العادات و التقاليد أطلقت عليها اسم " ثقافات منبسطة " و منها التي تتميز بالعدائية و تعطي للدافع النفسي الداخلي أهمية أكبر من العوامل الخارجية و أطلقت عليها اسم " ثقافات منطوية " و الوصول إلى فهم ثقافة ما لابد

أن يأخذ في الاعتبار السلوك الظاهري في صوره المتكررة و مختلف الاتجاهات العقلية الشعورية في تناسقها و تكاملها.

ج- الاتجاه البنائي الوظيفي :

يعد البناء و الوظيفة من المفاهيم المحورية في تحليل المجتمع و في الأنثروبولوجيا الاجتماعية يشير مفهوم البناء الاجتماعي إلى " مجموعة العناصر التي تقوم بينها علاقات تعبر عن كل العمليات القائمة بين هذه العناصر " و قد كان لـ " راد كليف براون" الدور الأكبر في بلورة هذا المفهوم فهو يشير عنده إلى" نوع من الترتيب بين الأجزاء التي تدخل في تركيب الكل وذلك لأن ثمة علاقات وروابط معينة بين الأجزاء التي تؤلف الكل وتجعل منه بنية متماسكة " وتشير الأجزاء المشكلة للكل إلى مختلف النظم الاجتماعية كما تشير حسب براون إلى الأشخاص (أب – أخ ..) باعتبار علاقاتهم الاجتماعية وليس الأفراد باعتبارهم كائنات بيولوجية ، ويدرس البناء الاجتماعي مرتبطا بالوظيفة ، فالوظيفة هي " الدور الذي تؤديه الأجزاء (البناء الفرعي) داخل البناء الكلي للمجتمع. "

وقد اهتم مالينوفسكي بالوظيفة التي تؤديها الثقافة فهي حسبه تعمل على إشباع حاجات الأفراد في جميع النواحي ، كما أن النظم الاجتماعية المختلفة تؤدي وظائف مختلفة كل حسب طبيعته كالنظام الاقتصادي الذي يؤدي وظيفة توفير الحاجات الغذائية والنظام الديني الذي يؤدي وظيفة الضبط الاجتماعي ...الخ ، وهذه الوظائف تؤدي مجتمعة إلى تحقيق الوظيفة العامة للبناء الكلي وهي المحافظة على بقائه واستمراره.

ح- الاتجاه البنيوي الأنثروبولوجي :

ويتزعم هذا الاتجاه العالم الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس ، وتحيل البنيوية إلى وجود بنيات تتحكم في العلاقات والظواهر الاجتماعية ولئن كانت أعمال ليفي ستروس منصبة على المجتمع وظواهره (المجتمعات البسيطة وظواهرها كأنماط القرابة والأساطير ...) فإنه استمد مفهوم البنية من حقل اللغة ومن أعمال فرديناند دي سوسير التي تركز على اللغة كنسق نحوي شكلي يتكون من بنيات (كلمات وجمل) وهذا التناسق هو الذي يحدد المعنى ، يستعير ليفي سروس من الألسنيين طريقتهم في دراسة اللغة ليطبقها على المجتمع فيقول في هذا السياق " إننا نريد أن نتعلم من الألسنيين سر نجاحهم ، ألا يسعنا نحن أيضا أن نطبق على هذا الحقل الذي تدور فيه أبحاثنا (القرابة – التنظيم الاجتماعي – الدين – الفلكلور- الفن ..) تلك المناهج الصارمة التي تبرهن الألسنية كل يوم على فعاليتها " ، إذا حسب ليفي ستروس هناك بنيات أساسية تتحكم في

سيرورة المجتمع ، فإذا كانت مختلف النظم والأجزاء المجتمعية بالنسبة للأنثروبولوجيين هي البنيات الأساسية المتحكمة في المجتمع فإن هذه البنيات حسب ليفي ستروس تخفي خلفها البنيات الحقيقية المتحكمة في الواقع الاجتماعي ، لكن البنية الأساسية حسبه والتي تتخفى خلف هذه البنيات هي بنية العقل الإنساني كبنية نهائية لا شعورية ، وإذا كان الضمير الجمعي عند دوركايم واللا شعور عند فرويد هو المتحكم في الظواهر الاجتماعية والانسانية فإن بنية العقل وتركيبته هي المتحكمة في مختلف أنماط التفكير ونظم القرابة والدين وغيرها لدى كلود ليفي ستروس.[1]

2. النظريات الحديثة في أنثروبولوجيا الانتماء والقرابة:

نظرية فردريك انجلز:

يعتمد انجلز بأن نظام العائلة يعتمد على نظام الزواج، ولا يمكن فهم النظام الاخير واستيعاب مضمونه الحضاري والانساني دون دراسته دراسة تاريخية فنظام الزواج حسب آراء انجلز يقسم تاريخيا الى ثلاثة اقسام رئيسية هي :

نظام الزواج الجماعي (plural marriage) الذي رافق مرحلة التوحش التي مر بها المجتمع البشري.

نظام الزواج الثنائي (Dual marriage) الذي رافق المرحلة البربرية التي مر بها المجتمع البشري.

نظام الزواج الاحادي (monogamy) الذي رافق مرحلة المدنية خصوصا المرحلة الاقطاعية والمرحلة الرأسمالية. وخلال تحول نظام الزواج من النظام الثنائي الى النظام الاحادي شهد المجتمع البشري شيوع نظام تعدد الزوجات (polygamy) في مجتمعات العبودية والاقطاع.

نظرية ادورد وسترمارك :

ادورد وسترمارك (1862-1939) واهتم هذا العالم بدراسته العائلة البشرية دراسة تاريخية اجتماعية. واشتهر بانتقاده لنظرية النسب الامي انتقادا علميا حيث كان يعتقد بأهمية النسب الابوي وتقدم هذا النسب تاريخيا على النسب الامي. وانتج الاسلوب المقارن والاسلوب التطوري في دراسة العائلة البشرية. يذكر وسترمارك في كتابة (تاريخ الزواج البشري) بأن الزواج هو اساس تكوين العائلة، فبعد عقد الزواج بين الرجل والمرأة تتكون العائلة. ثم بعد ذلك تكبر حجماً وتزداد ترسخاً بعد انجابها للاطفال والزواج حسب تعريف وسترمارك هو علاقة اجتماعية جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس (رجل وامرأة) يشرعها ويبررها وجودها المجتمع، وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها

[1] http://taher78.blogspot.com/2012/05/1-19.html

الشخصان المتزوجان انجاب الاطفال وتربيتهم تربية اجتماعية واخلاقية ودينية. ويعتقد وسترمارك بأنه الانسان منذ بداية الخليقة يميل نحو الزواج بأمرأة واحدة وهنا ينتقد وسترمارك آراء موركن التي تشير الى المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها نظام الزواج في العالم وهي مرحلة الزواج الجماعي ومرحلة تعدد الزوجات او الازواج واخيرا مرحلة الزواج الاحادي. وبعد قيام وسترمارك بانتقاد آراء موركن يؤكد على ان نظام الزواج منذ البداية هو النظام الاحادي للزواج (monogamy)، وفي الوقت نفسه يعترف بان هناك ظروفا استثنائية تدعو الى ظهور نظام تعدد الزوجات او نظام تعدد الازواج او نظام الزواج الجماعي. وهذه الظروف تفسر بعوامل قلة عدد سكان المجتمع او قلة رجال المجتمع او قلة النساء المجتمع او التحضر للحروب والتوسع العسكري ... الخ.

نظرية روبرت مكايفر: مكايفر عالم اجتماعي امريكي وقد اشتهر في كتاباته العلمية الدقيقة عن موضوع العائلة وعن تركيبها ووظائفها وتحولها التاريخي. حيث اشار في كتابه " المجتع بان العائلة البشرية تقسم الى قسمين اساسين هما العائلة المعتدة (extended family) والعائلة النووية (Nuclear family) والعائلة تتحول تاريخيا من مرحلة العائلة الممتدة الى مرحلة العائلة النووية وتوجد العائلة المعتدة في المجتمعات الريفية وفي المجتمعات المحلية العشائرية والقبلية، كما انها تتوفر ايضا في البيئات الاجتماعية العمالية والفلاحية اما العائلة النووية فحسب تعاليم مكايفر توجد في الاقالمي الصناعية والحضارية المتطورة.

وبعد ذلك قام مكايفر بدراسة صفات العائلة النووية المعاصرة وهذه الصفات هي:

يكون وجود العائلة الحديثة مبنياً على اتفاق الزوج مع زوجته. فهما اللذان يقرران بناء حياتهم الزوجية منذ ابتداء دخولهم لها.

تتولى العائلة الحديثة تربية ورعاية اطفالها تربية عقلانية وعلمية.

تنظم العائلة الحديثة اسس حياتها ومعيشتها واهدافها بصورة شعورية اختيارية تعتمد على رغبات واتجاهات الزوج والزوجة.

ان العائلة الحديثة مستقلة استقلالا تاماً من الناحية الاقتصادية عن اقاربها فهي تعتمد على نفسها في تمشية امورها الاقتصادية، وهي وحدة متكاملة تكافح من اجل اسعاد افرادها وتحقيق اهدافهم.

تهتم العائلة الحديثة في الوقت الحاضر بتحديد النسل الذي يتفق عليه مقدما الزوجان حيث انه يساعد العائلة على تحقيق الموازنة بين مواردها المالية وعدد افرادها ويمكنها في الوقت نفسه من اعطاء التربية الحيرة للاطفال.